**الأستاذ المسؤول عن المقياس : بن عيسى خيرة .**

**مقياس : مدارس فلسفية يونانية .**

**المستوى السنة الثانية : LMD s3**

**المحاضرة الرابعة : المدرسة الفيثاغورية (le phythagorisme)**

**المدرسة الفيثاغورية (le phythagorisme):**

يعود تاريخ هذه المدرسة إلى النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد،أسسها الفيلسوف اليوناني فيثاغورس حوالي530ق.م بكروتونا في جنوب إيطاليا،تميزت عن المدارس اليونانية السابقة عليها بطابعها الزهدي ونزعتها الباطنية الروحية ،ونحن نعرف مدى تأثرها بالديانة الأورفية في مسألتي التناسخ والتطهير،ولم يكن هذا الاتجاه وحده الذي اختصت به هذه المدرسة بل كان لها إسهامات فكرية متعددة استحقت من خلالها لقب مدرسة فلسفية ،واستحق زعماؤها لقب فلاسفة،في هذا يقول"أندري كوبلسون"في كتابه تاريخ الفلسفة اليونانية:"وإذا كان ذلك كل ما تحتوي عليه النظريات الفيثاغورية[يقصد هنا الطابع الباطني الزهدي]فقد تكون موضع اهتمام عند مؤرخ الدين ،لكن يصعب أن تكون جديرة بأن ينظر إليها مؤرخ الفلسفة،غير أن هذه القواعد الخارجية في مراعاة السلوك لا تشمل على الإطلاق كل ما قدمته المدرسة الفيثاغورية"[[1]](#footnote-2).

سيتغير أو بالأحرى سيتسع كثيرا مجال البحث تدريجيا مع الفلسفات الموالية خاصة عند الفيثاغورية التي شاركت بدورها الفلاسفة الطبيعيين محاولة الإجابة على المبدأ الأول و أصل الكون ، و عُرِفَتْ إضافة إلى ذلك بمسائل أخرى كالتناسخ و التطهير والزهد والعدد ،و نحن الآن لن نتكلم عن فيثاعورس مؤسس المدرسة و آرائه هو وحده ،بل سوف نعرض لذلك بسم الجماعة و ذلك لسببين أولهما الرابطة القوية التي كانت تجمع أفرادها فكان كيان الكل هو في الواحد،و ثانيا الشكوك التي تشوب شخصية فيثاعورس فيما إذا كانت شخصية حقيقية فعلا لكثرة الروايات والأساطير حوله،و حتى أرسطو يتكلم في كثير من الأحيان عنهم جماعة متفاديا الكلام عن فيثاغورس لوحده فيقول" بعض الفيثاغوريين" [[2]](#footnote-3) ، ونحن هنا سنحذو حذو "أرسطو"، هذا إضافة إلى قلة النصوص،وستكون بدايتنا من الكلام عن المدرسة عامة.

**أ-الفيثاغورية جمعية دينية أم مدرسة فلسفية ؟:**

هل اقتصرت تعاليم الفيثاغورية على الجانب الديني الباطني فقط أم كان لها تصورات ونظريات فلسفية ؟يمكن النظر إلى الفيثاغورية من كلتا الزاويتين ،فهي من ناحية كانت جمعية دينية بنزعة صوفية باطنية خالصة ،ويظهر ذلك من خلال تعاليمها وسرية مبادئها وشعور أفرادها برابطة أخوية و تأثرها بأشهر الديانات القديمة واشتراكها معها في الكثير من الطقوس والمبادئ وهي الديانة الأورفية،كقولها بالتناسخ وبحثها عن السعادة الخالصة التي لا تتم إلا بتطهير النفس وتنقيتها من سجن الجسد وأردانه

وهي من ناحية ثانية مدرسة فلسفية من حيث وضعها لمذهب فلسفي في الأخلاق والنفس ، ونظرياتها في الطبيعة وكذلك اهتمامها بالرياضيات التي اتسع مجالها مع هذه المدرسة فلم تعد عندها مجرد علم يقوم على الكم والكيف متمثلا في الحساب والهندسة فقط،بل ستربطها بكل تصوراتها الفلسفية في مجال الكسمولوجيا والموسيقى والفلك والأخلاق والنفس وغيرها،فهم قد"كرسوا أنفسهم للرياضيات،كما كانوا أول من دفع بهذه الدراسة إلى الأمام"[[3]](#footnote-4)، انطلاقا من أن كل شيء يمكن التعبير عنه بصيغة عددية ما،وعلى هذا الأساس سنحاول أن نتكلم عن النظريات الفيثاغورية في مجال الكوسمولوجيا والأخلاق خاصة.

**ب/الكسمولوجيا:**

حاولت هذه المدرسة بدورها الإجابة عن سؤال ما أصل الكون،أو المبدأ النهائي للأشياء،فكانت تصوراتها مختلفة عن المدرسة الأيونية التي اتفق زعماؤها على أن ذلك المبدأ واحد ومن طبيعة مادية بين من قال بالماء ومن قال بالهواء وأخيرا بالأبرون ،أما الفيثاغورية فسترفض كل تلك التفسيرات،لأنها ترى أن المبدأ الأول يجب أن لا يكون حاملا لأي صفة من صفات الموجودات لأن ذلك لن يجعله مبدأ سابقا عليها،ولأن الأشياء كلها تشترك في صفة واحدة وهي أنها قابلة للعد فإن مصدرها الأول هو العدد،وكان تصورهم ذلك نابعا مما"رأوه من نظام وانسجام بين الأشياء ،لذا كان تصورهم للعدد قائم على أساس أنه الإضافات أو النسب الموجودة بين الأشياء بعضها ببعض والتي تنظم المادة المضطربة في الأبرون "[[4]](#footnote-5)،ومرجعية الفيثاغورية في القول بالانسجام هو ما وجدوه في الموسيقى من تناسب عددي،إذ أن عدد الأوتار وبعدها عن بعضها البعض يرجع في الأصل إلى علاقات عددية بتناسبها يتحقق التناسق والانسجام في النغمة الموسيقية،وكان الكون في تصورهم قائما على هذا المنوال نفسه،"فالموسيقى لها قوة خاصة على الروح،وهي التي تتخلل الكون،فإن العالم كله لابد أن يكون على نحو ما مؤلف من العدد وعناصر العدد"[[5]](#footnote-6)

إن المبدأ النهائي للكون هو"الواحد الذي يحمل في ذاته جميع الأعداد ويرتقي فوق كل المتناقضات فهو عدد الأعداد"[[6]](#footnote-7)،يمثل الوحدة في مقابل الكثرة ،وبذلك يكون الكون قائما على مجموعة من الأضداد أساسها الفردي والزوجي ،أما الأول فهو محدود لأنه غير قابل للقسمة،في حين يمثل الزوجي العكس،وهو ما يشير إليه"ولتر ستيس" بقوله:"...وهكذا يصبح المحدود واللامحدود المبدأين المطلقين للكون ،المحدود هو الوحدة وهو النار المحورية في الكون،وقد تكون المحدود أولا ثم ينطلق من جذب المزيد من اللامحدود نحوه وتحديده،وعندما يصبح محدودا يصبح شيئا محدداً. ومن ثمة يبدأ عالم الأعداد"[[7]](#footnote-8)،لذلك وضع الفيثاغوريون قائمة من عشرة أضداد اعتبروها أساسا لكل شيء وهي في الأصل تصدر من المبدأين الأساسين السابقين[الفردي والزوجي] وهي كما يصنفها"أرسطو"في عرضه لمذهب الفيثاغوريين بقوله:"المحدود واللامحدود، الفردي والزوجي ،الواحد والكثير، اليمين واليسار، الذكر والأنثى، الثابت والمتحرك،المستقيم والمنحني،النور والظلمة،الخير والشر،المربع والمستطيل"[[8]](#footnote-9).

أما كيف انبثقت الأجسام المادية عن الأعداد المجردة ومن ثمة عن الواحد فإن الفيثاغوريون لم تكن لهم إجابة واضحة بشأن ذلك أو بالأحرى لم يقدموا تعليلا علميا مقنعا،وقد وردت بعض الأقوال التي تروى عنهم في ذلك أشهرها ما يذكره "ديوجينس اللائرسي"إذ يقول:"إن الوحدة هي مبدأ كل شيء صدرت عنها الثنائية وهي لانهائية،ومن الوحدة الكاملة ومن اللانهائية صدرت الأعداد ،ومن الأعداد النقاط ومن النقاط الخطوط ومن الخطوط المسطحات ومن المسطحات المجسمات ومن المجسمات الأجسام المحسوسة وعناصرها الأربعة وهي النار والماء والأرض والهواء ومن حركتها تكون العالم الحي الكروي في مركزه ،ويقولون أيضا أن الشمس والقمر والكواكب الأخرى هي آلهة لما فيها من حرارة تبعثها فتكون علة للحياة،وأن القمر يستمد نوره من الشمس وأن البشر يقتربون من الآلهة لأنهم يشاركون في الحرارة،ومن أجل هذا تتولى الآلهة رعايتها،وكذلك فإن للعالم كله قدر يسيره"[[9]](#footnote-10).

ومنه ربطت الفيثاغورية الأعداد بالهندسة،وذلك عندما رمزت لكل عدد بشكل هندسي،فالواحد عندهم يرمز للنقطة والاثنان للخط والثلاثة للسطح...،ويتناسب ذلك مع كون الأجسام هي مجموعة من النقاط تشغل مكانا ما ،وبهذا نفهم قولهم كيف أن الأعداد هي ماهية الأشياء،هذه الأخيرة التي ليست خاضعة للعدد فقط بل هي كذلك في وجودها المادي الخارجي عبارة عن مجموعة من النقاط والخطوط والسطوح التي تترابط فيما بينها،فجميع الأشياء الموجودة في الطبيعة إذا منشؤها العدد الذي يمثل"المبدأ بوصفه مادة للأشياء وكشكل لحالاتها وتحولاتها في آن معا"[[10]](#footnote-11).

**ج/فلسفة التربية والأخلاق عند الفيثاغورية:**

في كلامنا عن الأخلاق عند هذه المدرسة نجدها تمزج بشكل واضح بين تعاليمها الدينية ونظرياتها الفلسفية لتُكون بذلك مذهبا أخلاقيا غايته تطهير النفس وتخليصها من عجلة الولادات المتكررة وتحقيق السعادة، وسبيلها في ذلك كان بممارسة بعض الطقوس والعبادات من جهة،و الاتجاه نحو التربية العقلية وتعلم الفلسفة والرياضيات والموسيقى من جهة أخرى،وذلك للارتقاء بالنفس نحو التفكير المجرد ،وفي هذا يظهر البعد الفلسفي النظري في الأخلاق الفيثاغورية،ومن ذلك قولهم:"نحن في هذا العالم غرباء،والجسم هو مقبرة الروح،ومع ذلك فلا يجوز لأحد من أن يلتمس الفرار بالانتحار ،لأننا ملك الله هو راعينا وما لم تشأ إرادته الفرار فلا حق لنا في تهيئته لأنفسنا،والناس في هذه الحياة ثلاث ضروب تقابل الضروب الثلاثة من الناس الذين يوفدون إلى الألعاب الأولمبية...وخر الناس جميعا هم أولئك الذين جاؤوا ينظرون إلى ما يجري وحسبهم ذلك،وعلى هذا فأعلى درجات التطهير النفسي هو العلم الذي لا يجعل الهوى أساسه.وأن من يستطيع تكريس نفسه لذلك هو الفيلسوف الحق الذي فك الأغلال التي تربطه بعجلة الميلاد"[[11]](#footnote-12)

يمكن أن نستنبط من هذا القول أهم المبادئ الأخلاقية التي تقول بها الفيثاغورية على العموم،انطلاقا من اعتبارها أن الجسد مصدرا للشهوة والغريزة وهو سجن يمنع النفس من تحقيق سعادتها،أما الموت فهو ليس تخليصا لها من أردان الجسد أو من الحياة بصفة عامة،ذلك لأنهم يرون أن الأجساد هي ملك لله وليس للإنسان الحق في إنهاء حياته ما لم يأذن له مالكها بذلك.

هذا ويقسم فيثاغورس الناس إلى ثلاثة أصناف كل صنف يتفوق على الآخر بطبيعة اهتمامه،منهم التجار الذين تكون غايتهم الربح،والمتنافسون الذين يتبارون في الألعاب ويكون غرضهم الفوز،ومنهم أخيرا المتفرجون وهؤلاء هم أعلى مرتبة لأن غايتهم ليست الفوز بل ممارسة التأمل واقتناء المعرفة وتلك هي المرتبة الأعلى،لذلك اتجه مبدأ التطهير عند الفيثاغورية إلى ضرورة ممارسة التأمل والتعلم،"كذلك الفيلسوف في طلبه للمعرفة المجردة شبيه بالمتفرج لأنه لا يهدف إلى الفوز شيمة المتبارين ولا إلى الربح شيمة الباعة"[[12]](#footnote-13).

وكما اشرنا أعلاه أن هذه المدرسة ربطت بين الفلسفة الطبيعية والأخلاقية،فكانوا يرمزون للأخلاق بالأعداد التي منها ما كان مقدسا،ومنها ما دل على المذكر والمؤنث وعلى العلاقات بين الأفراد وغيرها "فالعدد سبعة يمثل وحدة الوقت الكاملة،والعدد أربعة يمثل العدالة،والعدد ثلاثة يمثل الزواج،ثم نعتوا العقل بالواحد،وأعطوا للأحادية المطلقة صفة الألوهية،وكان للعدد عشرة قدسية واضحة"[[13]](#footnote-14)،ولأن الفيثاغورية تنطلق من فكرة المحدود واللامحدود في كلامها عن نشأة الكون ،وأنهما أساس كل الأضداد الأخرى فإن الخير والشر سيرتبطان بهذا التصور باعتبار "أن المحدود هو الخير بينما اللامحدود هو الشر"[[14]](#footnote-15).

**د/مشكلة النفس:**

 لقد كانت الفيثاغورية تُولي أهمية بالغة للنفس ،فهي تؤكد على أنها واحدة وكان هذا الاعتبار يهدف إلى تحقيق التآلف بين جميع الكائنات الحية ، ووفقا لذلك كانت تحرم المدرسة أكل اللحوم لاعتقاد منها بأنه يمكن أن تكون نفس صديق أو قريب داخل ذلك الحيوان،كما امتنعت عن أكل بعض النباتات ،أما فيما يخص مصير النفس فهي خالدة ورغم أنها خاضعة لولادات متعددة بتناسخها في أجساد كثيرة إلا أنها تعود في النهاية إلى مصدرها الإلهي الأول ، فقد كان فيثاغورس حسب ما يروي فورفوريوس عنه : "يقول بخلود النفس،ثانيا أنها تتحول إلى أشكال حية مختلفة ،و أن الأحداث تتعاقب على سبيل الدور،فما من جديد تحت الشمس و أخيرا أن جميع الكائنات الحية يجب أن تُعتبر أقرباء"[[15]](#footnote-16).

لا شك أن هذا القول يجمع مجمل آراء الفيثاغورية حول النفس في كونها خاضعة للتناسخ وخالدة،وقد أكدوا أيضا على هذه الصفة الأخيرة من خلال قولهم أن النفس في حالة حركة دائمة و مستمرة لا تعرف السكون ،و هذه الخاصية هي من خصائص ما هو إلهي أي ما هو خالد، و قد أثار هذه الحجة أحد الفيثاغورين و هو "ألكمايون الكروتوني" Alcméon de crotone (حوالي 500ق.م) الذي يقول عنه أرسطو:"هذا هو رأي ألكمايون في النفس و هو يزعم أنها خالدة لأنها تشبه الموجودات الخالدة، وأن هذا الشبه عندها من جهة حركتها الأبدية لأن جميع الأشياء الإلهية تتحرك دائما حركة دائمة كالقمر و الشمس و النجوم كلها"[[16]](#footnote-17).

ولأن النفس دائمة الحركة فهي من الهواء ،لأن من خصائص هذا الأخير أنه لا يعرف السكون، و قد سبق أن وجدنا هذه الفكرة عند أنكسمانس في قوله بأن النفس من الهواء،حيث يذكر أرسطو في كتابه "في النفس"أن الفيثاغوريون اعتبروا النفس من التنفس و الهواء فهو يقول:" فمنهم من قال بأن النفس هي غبار الهواء و منهم من قال بأنها هي التي تحرك هذا الغبار،و ذكروا أن هذا الغبار يظهر لنا في حركة مستمرة حتى إذا كان السكون تاما"[[17]](#footnote-18).

**و- نقد  وتقييم الفيثاغورية:**

لا شك في أن للفيثاغورية دور بارز في اتجاه الفكر الفلسفي نحو التجريد بعدما كان منغمسا في الفيزيقيات،وذلك من خلال محاولتها تفسير الكون بمبدأ غير حامل لخصائص الموجودات؛أي مبدأ غير مادي،هذا إضافة إلى اتساع مجال بحثها كالسياسة والموسيقى والفلك والرياضيات خاصة التي كانت جميع مباحث فلسفتهم مُتَضَمَنةٌ فيها بما في ذلك الأخلاق،ومع ذلك هناك انتقادات كثيرة توجه إليها أشهرها:

إن قولهم بأن جميع الأشياء تقوم على العدد قادهم إلى تعميم ذلك على جميع الأشياء دون تمييز وإن تطلب الأمر منهم صياغة مفاهيم ومبادئ جديدة،وقد علق أرسطو على ذلك بإسهاب بعد عرضه لنظريتهم إذ يقول:"فقد افترضوا أن عناصر الأعداد هي عناصر الأشياء جميعا،والسماء ككل هي سلَّم موسيقي وعدد.وجميع خواص الأعداد والسلم التي استطاعوا أن يبنوا اتفاقها مع صفات وأجزاء ونظام السماوات كلها.جمعوها وجعلوها تناسب خطتهم،وإذا كان هناك هوة في أي مكان فهم على استعداد لعمل أية إضافات ليجعلوا نظريتهم كلها مترابطة"[[18]](#footnote-19).

- رغم أن الفيثاغوريون أشاروا إلى الأضداد التي على أساسها يقوم الكون كله،إلا أنهم حسب أرسطو لم يفسروا مسألة الحركة ولم يبينوا عملية الانتقال والتحول،فتصوراتهم كانت حول مبادئ رياضية أكثر منها عن عناصر الكون المحسوسة فهم"لم يفكروا قط كيف يمكن أن تكون هناك حركة،إذا كان المحدود واللامحدود والفردي والزوجي هي الأشياء التي نزعم وجودها فحسب أو كيف يمكن أن يكون هناك كون وفساد بدون حركة وتغير،أو كيف يمكن للأجرام التي تتحرك في السماء وأن تسير في دورانها"[[19]](#footnote-20).

1. أندي كوبلسون، تاريخ الفلسفة اليونانية ، المجلد الأول،ص66. [↑](#footnote-ref-2)
2. أرسطو كتاب النفس،ص 10. [↑](#footnote-ref-3)
3. أرسطو،مقالة الألفا الكبرى،B-985-25. ، ص ص 267-268 . [↑](#footnote-ref-4)
4. بدوي عبد الرحمان،ربيع الفكر اليوناني،ص107. [↑](#footnote-ref-5)
5. الموسوعة الفلسفية المختصرة،نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل –جلال العشري- عبد الرشيد الصادق،راجعها وأشرف عليها زكي نجيب محمود،دار القلم بيروت دون سنة وطبعة،ص321. [↑](#footnote-ref-6)
6. محمد جديدي،الفلسفة الإغريقية ص 142. [↑](#footnote-ref-7)
7. ولتر ستيس،تاريخ الفلسفة اليونانية 35. [↑](#footnote-ref-8)
8. أرسطو،مقالة الألفا الكبرى،A-986-25. ،ترجمة إمام عبد الفتاح إمام،ص 269 . [↑](#footnote-ref-9)
9. أميرة حلمي مطر،الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها،ص77. [↑](#footnote-ref-10)
10. أرسطو،مقالة الألفا الكبرى،A-986-25. ،ص 268 . [↑](#footnote-ref-11)
11. جعفر آل ياسين،فلاسفة يونانيون ،العصر الأول،ص39. [↑](#footnote-ref-12)
12. ماجد فخري ،تاريخ الفلسفة اليونانية،ص67. [↑](#footnote-ref-13)
13. جعفر آل ياسين،فلاسفة يونانيون ،العصر الأول ص42. [↑](#footnote-ref-14)
14. محمد جديدي ،الفلسفة الإغريقية،ص137. [↑](#footnote-ref-15)
15. - فورفوريوس،عن حياة فيثاغورس،نقلا عن ماجد فخري،تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس(583ق.م)إلى أفلاطون(27ق.م)و برقلس(485ق.م) دار العلم للملايين بيروت ،الطبعة الأولى 1991ص24. [↑](#footnote-ref-16)
16. - أرسطو، كتاب النفس ،ص15. [↑](#footnote-ref-17)
17. المصدر السابق ،ص10. [↑](#footnote-ref-18)
18. أرسطو،الكتاب الأول،مقالة الألفا الكبرى،(a .986) ،ص268. [↑](#footnote-ref-19)
19. المصدرالسابق، (a.990) ص276. [↑](#footnote-ref-20)